بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة المجمعة

كلية العلوم والدراسات الإنسانية

رمامح

أصول التفسير ومناهجه

إعداد الدكتور / محمد أحمد جاد الرب

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان وجعله هدى ونوراً للناس يخرجهم به من الظلمات إلى النور والصلاة والسلام على النبي الأمين مبلغ هذا الوحي المبين .

وبعد:

فإن علم أصول التفسير من العلوم التي ظهرت ولكن لم تلق عناية متكاملة ، وهو في الحقيقة جزء من علوم القرآن ؛ وإن كان بعضهم يجعله مرادفاً لمصطلح علوم القرآن. وعلم أصول التفسير مفتاح أو كالمفتاح للمفسرين فهو به يلج المفسر للإبحار في القرآن مستخرجاً المعاني والأحكام من القرآن الكريم . وقد عملت في هذه المذكرة على: التعريف بعلم أصول التفسير، ونشأة علم التفسير، وأقسام وطرق التفسير، وشروط المفسر والعلوم الضرورية له، وقواعد التفسير، ومناهج التفسير، والتفسير في العصر الحديث وغير هذا مما ضمنته هذه الورقات.

نسأل الله الإخلاص في العمل وأن ينفع به كل قارئ إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أصول التفسير ومناهجه

تعريف أصول التفسير:

الأصول : جمع أصل وهو في اللغة عبارة عما يفتقر إليه ولا يفتقر إلى غيره.

وفي الشرع : عبارة عما يبني عليه غيره ولا يبني هو على غيره. والأصل ما يثبت حكمه بنفسه.

التفسير لغة: تفعيلٌ من الفَسْر، وهو بيان الشيء وإيضاحه، ولذا قيل: الفَسْرُ: كَشَفُ المَغْطَى. وَفَسَّرْتُ

الحديثَ، أَفْسَرُهُ فَسْرًا؛ إِذَا بَيَّنَّهُ. قَالَ تَعَالَى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا}

واصطلاحاً: علم يفهم به كتاب الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج

أحكامه وحكمه.

الفرق بين التفسير والتأويل: ثلاثة أقوال: الأول: أنهما بمعنى واحد،

الثاني: أن التفسير للفظ والتأويل للمعنى.

الثالث وهو الصواب: أن التفسير: هو الشرح، والتأويل: هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي

يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره.

تعريف أصول التفسير بمعناه المركب: القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير وتشمل ما

يتعلق بالمفسر من شروط وآداب وما يتعلق بالتفسير من قواعد وطرق ومناهج وما إلى ذلك.

فضل ومكانة التفسير:

1. أنه معين على فهم كلام الله عز وجل؛ ومعرفة مراده .
2. أن أشرف الكلام وأحسنه وأصدقه وأعظمه بركة وفضلا هو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .وقد روي أن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.
3. أن الله فضل العلم وشرفه وأشرف أهله ورفع درجاتهم، والعلم بالقرآن هو أفضل العلوم.

4. يدل صاحبه على ما يعتصم به من الضلال {ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم}
5. أن المفسر وارث للنبي صلى الله عليه وسلم في أعظم إرثه، وهو القرآن الكريم.
6. أن المفسر كثير الاشتغال بالقرآن ومعانيه وهداياته ؛ وهذا من أجل أنواع مصاحبة القرآن.
7. أنه يدخل صاحبه في زمرة خير هذه الأمة ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)).

حكم التفسير وأقسامه

حكم التفسير: أنزل الله كتابه ليتدبره الناس، قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ}، ونعى على من لم يتدبره، فقال: {أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} والتدبر يكون بعد تفسير ألفاظه وفهم معانيه، ولذا فالمسلم مأمور بهذا الفهم والتفسير . وتعلم التفسير واجب على الأمة من حيث العموم، فلا يجوز أن تخلو الأمة من عالم بالتفسير يعلم الأمة معاني كلام ربها. أما الأفراد فعلى كل منهم واجب منه، وهو ما يقيمون به فرائضهم، ويعرفون به ربهم. أقسامه: للتفسير أقسام عدة، وكل قسم مبني على اعتبار، ويكون هذا الاعتبار بالنظر إلى جهة من جهات التفسير.

ويمكن تقسيم هذه الاعتبارات إلى ما يلي: 1 - باعتبار معرفة الناس له. 2 - باعتبار طريق الوصول إليه. 3 - باعتبار أساليبه. 4 - باعتبار اتجاهات المفسرين فيه. هذه بعض الاعتبارات، وهناك اعتبارات أخرى يمكن تقسيم التفسير عليها، كاللفظ، والمعنى والاعتبار الزماني، والمكاني وغيرها.

أولاً: باعتبار معرفة الناس له: قسمه حبر الأمة ابن عباس، وجعله أربعة أوجه :

- 1 - وجه تعرفه العرب من كلامها: يشمل هذا القسم ألفاظ القرآن، وأساليبه في الخطاب وحكمه: من فروض الكفاية.
 - 2 - وتفسير لا يعذر أحد بجهله: وهذا يشمل الأمر بالفرائض، والنهي عن المحارم، وأصول الأخلاق والعقائد. وحكمه: من الواجب الذي يجب على المسلم تعلمه.
 - 3 - وتفسير يعلمه العلماء: ويشمل هذا القسم، ما تشابه منه على عامة الناس، وما يستنبط منه من فوائد وأحكام. وحكمه: من فروض الكفاية
 - 4 - وتفسير لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى علمه فقد كذب: ويشمل هذا حقائق المغيبات، ووقت وقوعها. وحكمه: غير واجب على أحد، بل من تجشم تفسيره فقد أثم وافترى على الله الكذب.
- ثانياً: باعتبار طريق الوصول إليه: ينقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين:

- الأول: ما يكون طريق الوصول إليه الأثر، وهو التفسير بالمأثور .
- الثاني: ما يكون طريق الوصول إليه الاجتهاد، وهو التفسير بالرأي .
- ثالثاً: باعتبار أساليبه: ينقسم بهذا الاعتبار إلى أربعة أقسام:

1 - التفسير التحليلي. 2 - التفسير الإجمالي. 3 - التفسير المقارن . 4 - التفسير الموضوعي.
 رابعاً: باعتبار اتجاهات المفسرين فيه والمراد بالاتجاه الوجهة التي قصدها المفسر في تفسيره وغلبت عليه، أو كانت بارزة في تفسيره، بحيث تميز بها عن غيره.
 والاتجاهات في التفسير لها اعتبارات، فمنها ما يكون بالنظر إلى المذهب العقدي للمفسر، فمثلاً: الاتجاه السلفي، يمثله: تفسير ابن جرير وابن كثير والشنقيطي. والاتجاه المعتزلي، يمثله: تفسير الزمخشري. والاتجاه الأشعري، يمثله: تفسير الرازي.

طرق التفسير: للتفسير ستة طرق، والذي يذكر منها غالباً أربعة:

- 1 - تفسير القرآن بالقرآن. 2. تفسير القرآن بالسنة. 3. تفسير القرآن بأقوال الصحابة.
 4. تفسير القرآن بأقوال التابعين. 5. تفسير القرآن باللغة. 6. تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد .
- أولاً: تفسير القرآن بالقرآن:** تفسير القرآن بالقرآن أبلغ التفاسير وينطوي تحت تفسير القرآن بالقرآن أنواع:
- 1 - بيان المجمل. 2. تقييد المطلق. 3. تخصيص العام. 4. تفسير المفهوم من آية بآية أخرى .
 - 5 - تفسير لفظة بلفظة. 6. تفسير معنى بمعنى. 7. تفسير أسلوب في آية بأسلوب في آية أخرى .
- ثانياً: تفسير القرآن بالسنة النبوية:** قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}. بين الله في هذه الآية مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي بيان القرآن. يمكن استنباط أنواع التفسير النبوي للقرآن من خلال ما يأتي:

- 1 - أن يبدأ الصحابة بالتفسير فينص على تفسير آية أو لفظة، وله أسلوبان:
 - أ. أن يذكر التفسير، ثم يذكر الآية المفسرة. ب. أن يذكر الآية المفسرة، ثم يذكر تفسيرها.
 - 2 - أن يشكل على الصحابة فهم آية فيفسرها لهم.
 - 3 - أن يذكر في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيراً للآية.
 - 4 - أن يتأول القرآن، فيعمل بما فيه من أمر، ويترك ما فيه من نهي.

ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة: للصحبة منزلتها العظمى في الإسلام، ولها شرف لا يخفى على مسلم، وقد ذكر العلماء أسباباً لرجوع المفسر إلى أقوالهم، وهي:

- 1 - أنهم شهدوا التنزيل وعرفوا أحواله. 2. أنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن.

3 - أنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن من العرب واليهود. 4. سلامة مقصدهم. 5. حسن فهمهم.

مصادرهم في التفسير:

1 - القرآن الكريم. 2 - السنة النبوية 3- اللغة العربية. 4 - أهل الكتاب. 5-الفهم والاجتهاد. حكم تفسير الصحابي: ذكر بعض العلماء أن قول الصحابي في التفسير له حكم المرفوع، ولكن هذا القول لا يقبل على هذا الإطلاق، والصواب أن تفسير الصحابي له أقسام، وكل قسم له حكم خاص، وهذه الأقسام هي:

1 - ما له حكم الرفع، وهذا يشمل أسباب النزول ، والإخبار عن المغيِّبات وحكم هذا: القبول.

2 - منه ما رجعوا فيه إلى لغتهم، وحكم هذا القبول كذلك.

3 - منه ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، وهذا له حكم الإسرائيليات.

4 - منه ما اجتهدوا فيه، وهذا فيه تفصيل: أ. أن يتوافق اجتهادهم؛ فيكون حجة .

ب. أن يختلف اجتهادهم؛ فيرجح بين أقوالهم .

ج. أن لا يرد إلا عن أحدهم، ولا يعلم له مخالف؛ فهذا الأخذ به أولى.

رابعاً: تفسير القرآن بأقوال التابعين: لما كان التابعون قد تلقوا التفسير عن الصحابة مباشرة، وكانوا في عصر الاحتجاج اللغوي، فلم تفسد ألسنتهم بالعجمة، وكان لهم من الفهم وسلامة المقصد ما لهم، كل هذا جعل من جاء بعدهم يرجع إلى أقوالهم في التفسير، ويعتمدها.

مصادرهم في التفسير: مصادرهم في التفسير هي مصادر الصحابة نفسها، إلا أنهم يزيدون بمصدر

الصحابة ، وهي كالتالي: 1 - القرآن الكريم. 2 - السنة النبوية. 3. - الصحابة. 4 - اللغة.

5 - أهل الكتاب. 6 - الفهم والاجتهاد. وهم يُعدُّون مصدراً لمن جاء بعدهم.

حكم تفسير التابعي: لتفسير التابعي أقسام كما سبق في تفسير الصحابي، ولذا لا يحكم عليه بالعموم من حيث القبول والرد، وهذه الأقسام هي:

1 - ما يرفعه التابعي، وهذا يشمل أسباب النزول والمغيبات.

2 - ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، وهذا له حكم الإسرائيليات. 3. ما أجمعوا عليه، وهذا يكون حجة

4 - ما اختلفوا فيه، وفي هذا القسم لا يكون قول أحدهم حجة على الآخر ويعمل هنا بالمرجحات .

5 - أن يرد عن أحدهم ولا يُعلم له مخالف، وهذا أقل في الرتبة من الوارد عن الصحابي إذا لم يعلم

له مخالف، لكنه أعلى من قول من تأخر عنهم.

خامساً: تفسير القرآن باللغة: المقصود به تفسير القرآن بلغة العرب وسبب اعتبار هذا طريقاً من نزول القرآن بلغتها، واعتماده أساليبها في الخطاب ومما يدل عليه . كذلك . اعتماد الصحابة والتابعين على اللغة في تفاسيرهم، واستشهادهم بأشعار العرب وأساليبها لبيان المعاني اللغوية في القرآن .
سادساً: التفسير بالاجتهاد والرأي: الاجتهاد، والرأي، والاستنباط، والعقل ، كلها مصطلحات تدل على مدلول واحد عند علماء علوم القرآن. والرأي قال به الصحابة والتابعون من بعدهم وعملوا به، ومنهم صديق الأمة أبو بكر الذي قال في الكلاله لما سئل عنها: «أقول فيها برأبي فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان». وهذا الرأي الذي عمل به الصحابة هو الرأي المحمود، وهو المبني على علم أو غلبة ظن.

أما الرأي المذموم فهو الذي وقع عليه نهى السلف ، وهو ما كان على جهل أو هوى .
التفسير بالمأثور: التفسير بالمأثور: كلمة (مأثور) فى اللغة- مأخوذة من الأثر، والأثر يطلق: على أمرين: على بقية الشيء، وعلى الخبر، أى على الكلام المخبر به عن شخص آخر .
واصطلاحاً: ما جاء فى القرآن الكريم نفسه من آيات تبين آيات أخرى، وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وكذلك عن التابعين، على اختلاف بين العلماء، فيما جاء عن التابعين .

حكمه: التفسير بالمأثور من أجود أنواع التفسير فيجب الأخذ به وتقديمه على التفسير بالرأى .
المصنفات فى التفسير بالمأثور: المصنفات فى التفسير بالمأثور خاصة، أو التى غلب فيها المأثور كثيرة، وأهمها ما يلى:

- 1- جامع البيان عن تأويل القرآن، لابن جرير الطبرى.
- 2- بحر العلوم، لأبى الليث، نصر بن محمد السمرقندى.
- 3- معالم التنزيل، لأبى محمد الحسن بن مسعود البغوى.
- 4- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية.
- 5- تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير.
- 6- الجواهر الحسان فى تفسير القرآن، لأبى زيد عبد الرحمن بن محمد الثعلبى.
- 7- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى.
- 8- فتح القدير، الجامع بين فنّى الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن على الشوكانى .
- 9 - أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطى.

التفسير بالرأي: التفسير بالرأي: يراد به: بيان معاني الآيات القرآنية، بغير المأثور، من القرآن، أو السنة، أو أقوال الصحابة والتابعين. وهو قسمان:

1. **الرأي المحمود هو:** ذلك التفسير الذي أُعمل فيه المفسر عقله، للوصول إلى مراد الله - تعالى - بقدر الطاقة البشرية مستعينا في ذلك بكل الأدوات والشروط والعلوم الواجب توافرها في مجال التفسير.
 2. **التفسير بالرأي المذموم:** فهو ما خالف فيه المفسر تلك الشروط، ولم يكن ملماً بتلك الأدوات، وهو ما كان على هوى أو باطل ولم يراع فيه تلك الضوابط .
- حكمه:** اتفق علماء الأمة سلفاً وخلفاً على منع التفسير بالرأي المذموم، أما التفسير بالرأي المحمود، فقد اختلفوا في جوازه إلى فريقين: فريق يمنعه منعاً باتاً، مهما كان المفسر ملماً بعلوم الأولين والآخرين، ومتوافقاً فيه شروط وأدوات التفسير، وفريق يرى جوازه لمن توافرت فيه تلك العلوم والشروط والأدوات، وهو الرأي الراجح.

أبرز المصنفات في التفسير بالرأي المحمود:

- 1 - مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي.
- 2 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي.
- 3 - مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي.
- 4 - لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد الخازن.
- 5 - البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان.

شروط المفسر والعلوم الضرورية له : التفسير هو الترجمة عن الله - تعالى - لبيان مراده - عز وجل - من كلامه، لذلك لا يجوز لأي أحد اقتحام هذا المجال إلا بعد أن تتوافر فيه شروط خاصة نص عليها علماء الأمة، أخصها فيما يأتي:

- (أ) الإسلام، لأن الكافر غير مؤتمن على الدنيا، فكيف نأتمنه على الدين؟
 - (ب) اتباع مذهب السلف الصالح فمن كان صاحب بدعة لبس على الناس مقصود الله تعالى.
 - (ج) صحة المقصد، بأن يبتغى بتفسيره وجه الله تعالى .
 - (د) أن يعتمد أول ما يعتمد على المأثور، فلا يجوز إعمال عقله، وترك المأثور.
 - (هـ) أن يقف على العلوم الواجب توافرها وهي خمسة عشر علماً، على النحو التالي:
- 1 - علم اللغة؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها، بحسب الوضع.
 - 2- النحو، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب.3.التصريف، لأن به تعرف الأبنية والصيغ.
 - 4 - علم الاشتقاق. 5،6،7- علوم البلاغة الثلاثة، «المعاني، والبيان، والبديع»

- 8- علم القراءات، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن. 9- علم أصول الدين.
- 10- أصول الفقه، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.
- 11- أسباب النزول، والقصص، لأن بعض الآيات لا يمكن فهمها إلا به.
- 12- الناسخ والمنسوخ، ليعلم المحكم من غيره. 13- الفقه. 14- الأحاديث المبينة للمجمل والمبهم.
- 15- علم الموهبة، وهو علم يورثه الله- تعالى- لمن عمل بما علم .

نشأة علم التفسير

القرآن الكريم هو منهج الله- تعالى- للناس في كل ما يتعلق بأمر دينهم ودنياهم، ولذلك جلس النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، ليفصل لهم ما أجمل من القرآن، وليزيل عن أذهانهم ما علق بها من لبس، وليبين لهم تخصيص العام، وتقييد المطلق، وتوضيح المبهم، وغير ذلك. وكان الصحابة حريصين كل الحرص على ملازمة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل وجدنا بعضهم كان يتأوب مع صاحبه حضور المجلس النبوي إذا لم يستطع الملازمة. فلما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى قيض الله- عز وجل- للناس صحابته الكرام، ليبينوا لهم مراده من كلامه.

فلما جاء عصر التابعين قيض الله منهم من يأخذ العلم على أيدي المفسرين من الصحابة، حتى صاروا علماء نابغين، وكان للتابعين مقومات جيدة كانوا يعتمدون عليها في تفسيرهم، وقد أنتج لنا التابعون كما عظيمًا من التفسير.

وظل التفسير بالمأثور- قرآن، وسنة، وأقوال للصحابة والتابعين- يتناقل شفهيًا، حتى دخل عصر التدوين، ثم دخل التفسير في أطوار أخرى من عصر إلى عصر، تتلون ألوانه بتلون اتجاهات أصحابها، حتى وصل إلى عصرنا هذا.

تدوين التفسير:

التدوين في بداية الأمر كان خاصًا بالقرآن الكريم، دون الحديث النبوي، حتى لا يلتبس شيء من القرآن بغيره، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه». فلما أمن اللبس أباح النبي صلى الله عليه وسلم كتابة الحديث أيضًا، ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة، لما طلب أبو شاة أن يكتب له خطبته: قال صلى الله عليه وسلم: «اكتبوا لأبي شاة». وإذا أردنا أن نقف على بداية تدوين التفسير، وتطور هذا التدوين، فإننا نقرر ما يلي:

أولاً: إن تدوين التفسير كعلم مستقل عن الحديث، وليس كباب من أبوابه بدأ في مرحلة مبكرة، على أيدي التابعين، الذين جمعوا قدرا كبيرا منه على أيدي الصحابة، ومما يدل على ذلك: ما روي عن مجاهد قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية أسأله، فيم نزلت؟ **ثانياً:** وبناء على ما سبق، فإن ما فعله الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، حينما أمر واليه على المدينة، أبا بكر بن حزم (سنة مائة)، بجمع الحديث، فكلف أبو بكر ابن شهاب الزهري بذلك، لا يعتبر الحلقة الأولى لتدوين التفسير، حتى وإن كان بابا من أبواب الحديث، فالتدوين للتفسير - وكعلم مستقل أيضا- كان سابقا لخلافة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله.

ثالثاً: ثم تأتي مرحلة ابن جريج، فقد كتب في التفسير ثلاثة أجزاء كبار، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

رابعاً: ثم خطى التفسير بعد ذلك خطوة أقرب إلى الشمولية لمعظم آيات القرآن الكريم، حيث كتب الفراء (ت 207 هـ) كتابا في معاني القرآن، كما ظهر تفسير ليحيى بن سلام المتوفى سنة 200 هـ. **خامساً:** وما زال التفسير ينمو ويزدهر، حتى وصل إلى مرحلة الاستقصاء لكل آية من آياته، وظهر ذلك على أيدي مجموعة من العلماء، وكان من أشهرهم محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة 310 هـ، وتفسيره يعتبر أقدم تفسير وصل إلينا، وابن أبي حاتم المتوفى سنة 327 هـ، وابن مردويه المتوفى سنة 410 هـ، وغيرهم من الأئمة الفضلاء.

أشهر المفسرين من الصحابة

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. وابن مسعود وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وكان أكثر المفسرين من الخلفاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم عنه. وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير اشتهر بعض أعلام التابعين الذين أخذوا عنهم، معتمدين في مصادره على المصادر التي جاءت في العصر السابق، بالإضافة إلى ما كان لهم من اجتهاد ونظر. ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية وانتقل كثير من أعلام الصحابة إلى الأمصار المفتوحة، ولدى كل واحد منهم علم غزير، تتلمذ على أيديهم كثير من التابعين ليأخذوا من علمهم ولينهلوا من معارفهم، ونشأت مدارس متعددة.

مدارس التفسير

1. **مدرسة مكة المكرمة:** قامت على يد ابن عباس، وابن عباس هو ترجمان القرآن الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وقد اشتهر من تلاميذ ابن

عباس في مكة كثير منهم سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاوس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم مع اختلاف في الرواية عن ابن عباس في القلة والكثرة.

2. مدرسة المدينة: نشأة على يد أبي بن كعب الذي اشتهر بالتفسير أكثر من غيره، وكان ممن أخذ عنه واشتهر من تلاميذه بواسطة أو بدون واسطة كثير، وعلى رأسهم (محمد بن كعب القرظي، وأبو العالية الرياحي، وزيد بن أسلم) وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

3. مدرسة العراق: وفي العراق - نشأت مدرسة ابن مسعود، وكانت مدرسة ابن مسعود كما قال عنها العلماء (نواة مدرسة أهل الرأي) وعرف بالتفسير من أهل العراق كثير من التابعين اشتهر منهم (علقمة بن قيس، مسروق، الأسود بن زيد، مرة الهمداني، عامر الشعبي، الحسن البصري، قتادة بن دعامة السدوسي)

التفسير في مرحلة المصنفات الجامعة

ازدادت مادة التفسير بعد عصر التابعين، وبدأت تظهر المصنفات التي جمع مؤلفوها أقوال الصحابة والتابعين في التفسير، وقد روي أن الإمام مالك بن أنس هو أول من صنف تفسير القرآن على طريقة الموطأ، تبعه الأئمة، فقلّ حافظ إلا وله تفسير مسند».

وتحدث السيوطي عن حركة التأليف في مجال التفسير بعد عصر التابعين، فقال بعد أن ذكر المفسرين من الصحابة والتابعين: «ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين، كتفسير سفيان بن عيينة (ت 198 هـ)، ووكيعة بن الجراح (ت 197 هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت 160 هـ)، ويزيد بن هارون (ت 206 هـ)، وعبد الرزاق (ت 211 هـ)، وآدم بن أبي إياس (ت 211 هـ)، وإسحاق بن راهويه (ت 238 هـ)، وروح بن عباد (ت 250 هـ)، وعبد بن حميد (ت 249 هـ)، وسنيد (ت 226 هـ)، وأبي بكر بن أبي شيبة (ت 235 هـ)، وآخرين.

وبعدهم ابن جرير الطبري، وكتابه أجل التفاسير وأعظمها، ثم ابن أبي حاتم، وابن ماجه، وابن مردويه، وأبو الشيخ بن حيان، وابن المنذر، في آخرين، وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم، وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك» .

وتطورت الحياة العلمية في الأمة الإسلامية تطوراً سريعاً، وتنوعت المعارف والثقافات، وبرزت المذاهب الفقهية، والاتجاهات الفكرية، وانعكس ذلك على تفسير القرآن الكريم، فتأثرت التفاسير بثقافة المفسر وتوجهاته الفكرية، فتنوعت تبعاً لذلك.

ثم أَلَّف في التفسير خلائق! فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بترا، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل. ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظانًا أن له أصلاً، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح.

اختلاف المفسرين في التفسير: أنواعه وأسبابه

1 - اختلاف التنوع 2 - اختلاف التضاد

اختلاف التنوع : أنواعه

1 - أن يعبر كل واحد من المفسرين بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى.

2 - أن يذكر المفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل.

3 - أن يكون اللفظ محتملاً لأمرين، إما بسبب الاشتراك وإما بسبب التواطؤ.

4 - أن يعبروا عن المعنى بألفاظ متقاربة.

اختلاف التضاد: أسبابه: 1 - الاشتراك. 2 - الاختلاف في مفسر الضمير.

3 - أن يكون في الجملة حذف، ويحتمل في تقديره أكثر من معنى.

4 - أن تحتمل اللفظة أكثر من تصريف في اللغة. 5 - تنوع الاستعمال العربي للفظ.

6 - أن يدور حكم الآية بين الأحكام والنسخ. 7 - أن يدور حكم الآية بين العموم والخصوص.

8 - أن يذكر الوصف المحتمل لأكثر من موصوف، ولا يحدد موصوفه في الآية.

9 - أن يكون في الآية حرف له قراءتان لكل منهما تفسير مختلف.

طريقة السلف في التفسير

طريقة السلف العامة في التفسير هي طريقة الإجمال وعدم التفصيل.

وللسلف في تفسيرهم طرق وتعابير يستعملونها عند تفسير القرآن. ويمكن استنباط هذه الطرق من كتب

التفسير التي تهتم بعبارة السلف ومنها:

1 - التفسير بالمطابق، أو ما وضع له اللفظ. 2 - التفسير باللازم، ويدخل ضمنه التفسير بالنتيجة.

3 - التفسير بجزء المعنى. 4. التفسير بالمثل. 5. التفسير بالقياس والاعتبار. 6. التفسير بالإشارة.

تفصيل هذا بالأمثلة:

1 - التفسير بالمطابق، أو بما وضع له اللفظ: المراد به: ما وُضِعَ له اللفظ في لغة العرب، مثل قوله

تعالى: {وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ} ، قال قتادة، والضحاك: {مَسْطُورٍ}: مكتوب.

2 - التفسير باللازم: والمراد به أن المعنى المستفاد لم يدل عليه اللفظ مباشرة، ولكن يلزم منه هذا المعنى المستفاد عقلاً أو عرفاً؛ كالكتابة تستلزم كاتباً.

ومن أمثله: تفسيرهم قوله تعالى: {فَظَلُّنَا تَفَكَّهُونَ} قيل: معناه تتدمون، وهذا تفسير باللازم، وإنما الحقيقة تزيلون عنكم التفكّه.

3- التفسير بجزء المعنى: المقصود به أن المفسر يذكر من المعنى الذي يحتمله اللفظ جزءاً منه، ليدل به على باقي المعنى. ومنه تفسير قوله تعالى: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} أي معلماً للخير أينما كنت.

4 - التفسير بالمثال: ومن أمثله قوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} ، قيل: الحسنات الصلوات، وقيل: قول الرجل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

5- التفسير بالقياس والاعتبار: المراد به أن يدخل المفسر في حكم الآية شيئاً؛ مشبه للآية في العلة. ومن أمثله: {لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى}. قال ابن عباس في معنى سكارى: أنه النعاس.

6- التفسير بالإشارة: التفسير بالإشارة له تعلق بما قبله ، ومن أمثله تفسير ابن عباس، وعمر بن الخطاب سورة النصر بأنها قرب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قواعد التفسير

القواعد هي: الأمور الكلية المنضبطة التي يستخدمها المفسر في تفسيره، ويكون استخدامه لها إما ابتداءً، ويبني عليها فائدة في التفسير، أو ترجيحاً بين الأقوال.

ويمكن استنباط هذه القواعد من كتب التفسير، وكتب اللغة، والبلاغة، والأصول. وتنقسم هذه القواعد إلى قسمين: القواعد العامة، والقواعد الترجيحية، وبينهما تداخل ظاهر عند التأمل.

أولاً: القواعد العامة: المراد بهذه القواعد: القواعد التي يمكن أن يعملها المفسر عندما يفسر آية من القرآن. ويبدو على بعض هذه القواعد أنها بمثابة الفوائد، ومنها ما يكون لغوياً، ومنها ما يكون أصولياً، ومنها ما يكون بلاغياً.

أمثلة لهذه القواعد:

1 - قال ابن القيم: «المعهود من ألفاظ القرآن أنها تكون دالة على جملة معان»

2 - قال الشنقيطي: «نقرّر عند العلماء أن الآية إن كانت تحتل معاني

كلها صحيح تعين حملها على الجميع . 3 - ما أبهم في القرآن فلا فائدة في بحثه.

4 - إذا عرف تفسير القرآن من جهة النبي صلى الله عليه وسلم فلا حاجة إلى قول من بعده .

5 - قول الصحابة مقدم على غيرهم في التفسير، وإن كان ظاهر السياق لا يدل عليه؛ لأنهم أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به.

6 - إعراب القرآن ينبغي أن يكون على أفصح الوجوه، ولا يفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون الكلام به له معنى ما.

ثانياً: القواعد الترجيحية : المراد بالقواعد الترجيحية: القواعد التي نعملها عند الترجيح بين أقوال المفسرين. ويكون استعمال هذه القواعد في حالتين:

الأولى : ترجيح أحد الأقوال على غيره. **الثانية :** رد أحد الأقوال.

متى يكون الترجيح ؟ التفسير المنقول إما أن يكون مجماً عليه، أولاً.

فإن كان مجماً عليه؛ فلا حاجة إلى الترجيح. والإجماعات في التفسير كثيرة منها:

1 - تفسير اليوم الموعود بيوم القيامة في قوله تعالى: {وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ} .

2 - تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى.

وإن كان مختلفاً فيه، فالاختلاف نوعان:

الأول: اختلاف تضاد: وفي مثل هذا النوع يعمل بقواعد الترجيح لبيان القول الصواب في الآية.

الثاني: اختلاف تنوع: وفي هذا النوع يعمل بقواعد الترجيح لبيان القول الأولى إن احتاج الأمر إلى ذلك وإن كانت الآية تحتل المرجوح.

طريقة المفسرين في عرض التفاسير المنقولة:

لما كان الترجيح لا يأتي إلا في الاختلاف بنوعيه، فإن المفسرين لهم ثلاث طرق في حكاية هذا الاختلاف:

الأولى: حكاية الاختلاف دون بيان الراجح من الأقوال؛ كتفسير الماوردي وابن الجوزي.

الثانية: حكاية الاختلاف مع بيان الراجح دون ذكر مستند الترجيح؛ كتفسير ابن عطية.

الثالثة: حكاية الاختلاف مع بيان الراجح والقاعدة الترجيحية التي هي سبب الترجيح، كتفسير الطبري والشنقيطي.

القواعد الترجيحية:

1 - ما يتعلق بالعموم في القرآن وفيه قاعدتان:

أ. الخبر على عمومه حتى يأتي ما يخصه: ب. العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

أ. الخبر على عمومه حتى يأتي ما يخصه: مثال: قوله تعالى: {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ}.

قيل: آدم وولده. وقيل: إبراهيم وولده. وقيل: عام في كل والد وما ولد.

ب . العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب: إذا قيل في آية: إنها نزلت في كذا، فهذا لا يعني أنها تُقصر على هذا السبب، بل المراد هنا الألفاظ، ولذا تعمّم هذه الألفاظ وإن كان السبب خاصاً. مثال قوله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}. قيل: نزلت في العاص بن وائل السهمي. وقيل: نزلت في عقبة بن أبي معيط. وقيل: نزلت في جماعة من قريش.

2 - ما يتعلق بالسياق القرآني : إن النظر في سياق الآية من حيث سباقها ولحاقها يعين على تعيين القول الراجح مثال: قوله تعالى: {عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} . ففي تأويل: {مَا كَتَبَ اللَّهُ} قيل: هو الولد. وقيل: ليلة القدر. وقيل: ما أحله الله لكم ورحص لكم.

3 - ما يتعلق برسم المصحف : المراد أن رسم المصحف يرجح أحد الأقوال المذكورة في الآية، ويرد الآخر لمخالفته الرسم. مثال: قوله تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} قيل في (لا) قولان: الأول: أنها نافية. الثاني: أنها ناهية. ويترجح الأول؛ لأن رسم (تنسى) في المصحف بإثبات الألف المقصورة، والفعل المضارع إذا تقدمت عليه (لا) الناهية جزمته.

4 - ما يتعلق بالأغلب من لغة العرب: يحمل كلام الله على الأغلب المعروف من لغة العرب، دون الأنكر المجهول أو الشاذ. وذلك أن يكون للكلمة في لغة العرب أكثر من معنى، فيختار المفسر المعروف الأغلب إلا أن يقع دليل على غير ذلك. مثل قوله تعالى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا} . 5 - ما يتعلق بالمعنى الشرعي: لما كان القرآن نازلاً بلغة العرب، فإنه قد وقع فيه من الألفاظ ما لها دلالات خاصة في الشرع لم تكن معروفة قبل عند العرب، وهذه الألفاظ هي مصطلحات وأسماء شرعية، ومن هذه الألفاظ: الجنة والنار، والصلاة والزكاة، والعمرة والحج، والبعث والنشور، وغيرها من الكلمات التي صار لها مدلول خاص عند المسلم، فسماع هذه الألفاظ يدل المعنى الشرعي لها. والمقصود هنا أنه إذا اختلف المعنى الشرعي والمعنى اللغوي فإن المقدم المعنى الشرعي.

6 - ما يتعلق بتصريف اللفظة : معرفة تصريف اللفظة وإرجاعها إلى أصلها يعين في بيان الراجح من الأقوال، ورد ما كان غير صواب. مثل: (قسط وأقسط). فقسط بمعنى جار، ولم يعدل، ومنه قوله تعالى: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا}. وأقسط بمعنى عدل، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} .

7 - ما يتعلق بالتقديم والتأخير : الأصل في الكلام تقديم ما حقه التقديم، وتأخير ما حقه التأخير، ولا يعدل عن هذا الأصل إلا بحجة يجب التسليم لها. قال أبو جعفر النحاس: «التقديم والتأخير إنما يكون إذا لم يجز غيرهما».

- 8 - ما يتعلق بظاهر القرآن : المراد من هذا أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه، قال الإمام ابن جرير: «غير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن إلا بدليل».
- 9 - ما يتعلق بطريقة القرآن : والمراد هنا أن اختيار التأويل الموافق لطريقة القرآن الكلية أو الأغلبية أولى من غيره. مثل قوله تعالى: {إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} . في مرجع الضمير في {رَجْعِهِ} قولان: الأول: أنه يعود إلى الإنسان، ويكون المعنى : قادر على رده للحياة بعد موته. الثاني: أنه يعود إلى الماء، ويكون المعنى: قادر على رد الماء إلى الصلب.
- 10 - ما يتعلق بإجماع الحجة أو قول الأكثر من الصحابة والتابعين: مثل قوله تعالى: {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} . قيل: الأمر لقريش، والناس من عداهم. وقيل: الأمر للمسلمين، والناس وإبراهيم عليه السلام.
- 11 - الترجيح بالاستعمال العربي : المراد بهذه القاعدة أن الاستعمال العربي للفظة أو الأسلوب يكون دليلاً في ترجيح أحد الأقوال على غيرها. ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا} . رد ابن جرير قول من قال: فاقع: سوداء شديدة السواد.
- 12 - الترجيح بالسنة النبوية : تفسير النبي صلى الله عليه وسلم مقدم على تفسير غيره، ولكن قد يكون في النصوص احتمال؛ فيستند المفسر على السنة النبوية لبيان الأقوى منها، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} . {هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} قولان: الأول: أنها بمعنى: النفي، بمعنى: ما من مزيد؛ لأنها قد امتلأت، وكأن قولها هذا من باب التأفف من هؤلاء الكفار الذي ألقوا فيها. الثاني: أنها بمعنى: الاستزادة، وأنها تطلب مزيداً إن كان هناك مزيداً.
- 13 - التأسيس أولى من التأكيد: المراد بهذه القاعدة أن الكلام إذا دار بين التأسيس والتأكيد حُمِلَ على التأسيس. ومن أمثلة هذه القاعدة قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. للعلماء في المراد بالحياة الطيبة قولان: الأول: أنها في الدنيا. الثاني: أنها في الآخرة، بدخول الجنة.
- 14 - الأصل في الضمير أن يعود إلى أقرب مذكور: المراد بهذه القاعدة أن الضمائر إذا احتمل عودها إلى أكثر من مذكور، فالأصل عودها إلى أقرب مذكور. مثل قوله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}

- 15 - الأصل توافق الضمائر في المرجع حذراً من التشتت : المراد بهذه القاعدة أن الضمائر التي يحتمل رجوعها إلى مرجع واحد، ويحتمل توزيعها على أكثر من مرجع، فإن الأولى رجوعها إلى مرجع واحد؛ لأن في توزيعها على أكثر من مرجع تفكيكاً للنظم.
- 16 - الأصل عدم التقدير ولا يلجأ إليه إلا بحجة يجب الرجوع إليها تثبت هذا المحذوف : المراد بهذه القاعدة أن الخطاب إذا كان يفهم من غير حاجة إلى تقدير مقدر فلا معنى لهذا التقدير.

مناهج التفسير

ترجع مناهج التفسير إلى اعتبارات ثلاثة:

- الاعتبار الأول:** من حيث المصادر التي يستمد منها التفسير، وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين، تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأى، ويدخل تحت التفسير بالرأى كل أنواع التفسير بالرأى المحمود.
- الاعتبار الثاني:** من حيث التوسع والإيجاز في التفسير، وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين، تفسير تحليلي، وتفسير إجمالي.
- الاعتبار الثالث:** من حيث عموم موضوعات التفسير، وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين، تفسير عام، وتفسير موضوعي.

أولاً: التفسير الفقهي: والمقصود من هذا الاتجاه الاعتناء بآيات الأحكام، واستنباط القواعد منها والأصول، واكتشاف الثروة التشريعية لبيان أحكام الله تعالى .

المصنفات في التفسير الفقهي:

- أولاً: من الأحناف:** 1 - تفسير «أحكام القرآن»، لأبي بكر الرازي المعروف بالجصاص، ت 370 هـ.
- 2 - تفسير «التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية» لأحمد أبي سعيد .
- ثانياً: الشافعية:** 1 - أحكام القرآن: للشافعي، من جمع أبي بكر البيهقي صاحب السنن.
- 2 - تفسير أحكام القرآن: للكنيا الهراسي المتوفي سنة 504 هـ .
- ثالثاً: المالكية:** 1 - «أحكام القرآن» لابن العربي، المتوفى سنة 543 هـ.
- 2 - «الجامع لأحكام القرآن»، للإمام القرطبي المتوفى سنة 671 هـ.
- رابعاً: الحنابلة:** 1- زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي
- وحديثاً صدر:** 1- نيل المرام في تفسير آيات الأحكام: صديق حسن خان
- 2- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني .

ثانياً: التفسير البياني (البلاغي):ومن اتجاهات المفسرين للقرآن الكريم، الاتجاه البلاغي، حيث قصد أصحابه بيان إعجاز القرآن للناس جميعاً في هذه الناحية .

المصنفات في التفسير البلاغي:

- 1- «تفسير الكشاف»، لمحمود بن عمر الخوارزمي، المعتزلي، الزمخشري.
- 2 - أنوار التنزيل، وأسرار التأويل : للإمام البيضاوي.
- 3 - إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم»، لأبي السعود محمد بن العماد الحنفي .

منهج التفسير البياني:

أولاً: أن يجمع المفسر الآيات ذات الموضوع الواحد ويتدبرها ويفسرها كذلك.
ثانياً: أن يرتب آيات الموضوع الواحد ترتيباً زمنياً حسب تاريخ نزولها.
ثالثاً: أن يدرس النص دراسة خاصة كتاريخه وأسباب نزوله وجمعه وقراءته .
رابعاً: التفسير العقلي: يسمى هذا اللون بالتفسير الاجتهادي وبالرأي وبالدراية ، نشأ هذا التفسير منذ عهد الصحابة فقد كانوا يجتهدون إذا لم يجدوا الأثر وكذلك التابعين من بعدهم.
ينقسم إلى قسمين: القسم الأول: الرأي الصحيح وهو نوعان: أحدهما: أن يتخير من أقوال السابقين. والثاني: أن يأتي بمعنى صحيح تحتمله الآية ولا يناقض قول السلف.
القسم الثاني: الرأي الباطل، وهو الذي يكون عن جهل أو عن هوى.
المحمود هو: ذلك التفسير الذي أعمل فيه المفسر عقله، للوصول إلى مراد الله- تعالى- بقدر الطاقة البشرية، مستعيناً في ذلك بكل الأدوات والشروط والعلوم الواجب معرفتها .
المذموم هو : ما خالف فيه المفسر تلك الشروط .

اختلاف العلماء في جواز التفسير بالرأي المحمود: اتفق علماء الأمة سلفاً وخلفاً على منع التفسير بالرأي المذموم، أما التفسير بالرأي المحمود، فقد اختلفوا في جوازه: فريق يمنعه منعاً باتاً، مهما كان المفسر ملماً بعلوم الأولين والآخرين، ومتوافقاً فيه شروط وأدوات التفسير وفريق يرى جوازه .
الرأي الراجح : جواز التفسير بالرأي، إذا توافرت في المفسر الشروط الواجب توافرها في هذا المجال.
رابعاً: التفسير الأدبي الاجتماعي : وهو لون جديد من ألوان التفسير ظهر في العصر الحديث، أراد به رواده البعد عن المباحث التحليلية الدقيقة، والمصطلحات والتخصصات العميقة، التي ربما تقف حائلاً دون المراد من إنزال القرآن الكريم.

ومن أبرز مزايا هذا الاتجاه:

- 1 - بيان أن القرآن الكريم هو الأصل في التشريع.

- 2 - إظهار ما في القرآن الكريم من شفاء لكل الأمراض الاجتماعية .
- 3 - تنفيذ الشبهات التي أثيرت حول الإسلام.
- 4 - البعد عن الأحاديث الموضوعية والضعيفة .
- 5 - تحذير الناس من الإسرائيليات.

أهم المصنفات في هذا الاتجاه:

- 1 - تفسير جزء عم: للشيخ محمد عبده. 2 - «تفسير المنار» لرشيد رضا.
- 3 - «تفسير المراغي» للشيخ محمد مصطفى المراغي.
- 4 - «تفسير القرآن الكريم» للشيخ محمود شلتوت .

خامساً: التفسير العلمي : هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن الكريم، والتي تشير إلى تأويل أو تفسير القرآن بما يتفق مع النظريات العلمية أو الاكتشافات الحديثة. وأصل هذا التفسير كان قديماً في الدولة العباسية؛ ولكنه كان عبارة عن محاولات يُقصد منها التوفيق بين القرآن وما جدَّ من العلوم، ثم وجدت الفكرة مركزة وصريحة عند الغزالي، ثم إن هذه الفكرة طُبِّقت علمياً وظهرت في مثل محاولات الرازي .

اختلف أهل التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة على قولين :
القول الأول : المنع . القول الثاني : الجواز .

الرأي الراجح : أنه لا بأس من إيراد الحقائق العلمية الثابتة التي لا تقبل الشك عند تناول النص القرآني مع إدراك معنى النص وفهمه الفهم السليم الخالي من الشوائب والمؤثرات الخارجية أو الميل به والانحراف لموافقة تلك الحقيقة العلمية .

أهم المؤلفات في التفسير العلمي:

- 1- التفسير الكبير: الفخر الرازي . 2- الجواهر في تفسير القرآن الكريم: طنطاوي جوهري.
- 3- كشف الأسرار النورانية القرآنية: محمد بن أحمد الإسكندراني .
- 4- التفسير العلمي للآيات الكونية: حنفي أحمد.

التفسير في العصر الحديث

مرت على المسلمين قرون خدمت فيها جذوة البحث العلمي في مختلف علوم الشريعة الإسلامية، وركدت حركة التأليف، وانتهت إلى صورة تتمثل بكتابة الحواشي والمختصرات للمشهور من كتب

العلوم. ودخل التفسير في هذه المرحلة، فظهرت التفسيرات المختصرة مثل (تفسير الجلالين) لجلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي ، كما كتبت عشرات الحواشي.

وتقدّم الزمن وازداد اتصال بلدان العالم الإسلامي بدول الغرب، وصحاح المسلمون على حالة من التناقض بين ماضيهم المزدهر وقيمهم الأصيلة، وما صاروا عليه من التخلف العلمي والانحطاط الحضاري، وكان ذلك مبعث يقظة في بلاد المسلمين، التي اختلفت وجهتها بين التمسك بالدين الإسلامي واتخاذها أساساً لتقدم المسلمين كما كان أساساً لتقدمهم من قبل، وبين الاستسلام للغرب ومحاكاته في قيمه ومثله وطريقة حياته.

ووجد دعاة الإصلاح ورواد النهضة الإسلامية الحديثة أن الناس بحاجة إلى الفهم الصحيح للدين، فنشطت حركة التأليف في العلوم الإسلامية من جديد، خاصة بعد انتشار المطابع في البلاد الإسلامية، وحاول العلماء كتابة تفسير القرآن بأسلوب يناسب حاجة الأمة إلى اتخاذ القرآن منار هداية ومصدر تشريع، وتوالت المحاولات، فكان من التفسيرات الأولى في هذا العصر، التي ظلت تحمل طابع التفسير القديمة، مع نزعات إلى التجديد في بعض الجوانب:

1- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير. للقاضي محمد بن علي الشوكاني الصنعاني المتوفى سنة 1250 هـ 1834 م.

2 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. لأبي الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، المتوفى سنة 1230 هـ 1854 م.

3 - محاسن التأويل. لمحمد جمال الدين القاسمي، المتوفى سنة 1332 هـ 1914 م.

4 - فتح البيان في مقاصد القرآن. لصديق حسن خان .

وظهرت تفسيرات أخرى كانت أكثر نزوعاً إلى التجديد، وإثارة قضايا تعكس تأثير كاتبيها بضغط الواقع المحزن للمسلمين، وتفوق أعدائهم العلمي والصناعي مثل:

1 - تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم تفسير المنار. للشيخ محمد رشيد رضا ت 1354 هـ 1935 م

2 - الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات. للشيخ طنطاوي جوهرى (ت 1358 هـ 1940 م

3 - تفسير المراغي. للشيخ أحمد مصطفى المراغي .

4 - التفسير الحديث. للأستاذ محمد عزة دروزة، كتبه بين سنة 1941 م وسنة 1945.

قضايا التفسير في العصر الحديث:

لم يتوقف التأليف في تفسير القرآن الكريم عند التفاسير التي ذكرناها، لكن كثيرا من التفاسير المؤلفة حديثا يحتاج إلى دراسة تكشف عن المنهج الذي سار عليه مؤلفوها. ونكتفي هنا بالإشارة إلى قضيتين مهمتين تتعلقان بالتفسير في العصر الحديث، هما موقف المفسرين المحدثين من التفسير المأثور، وموقفهم من العلوم والنظريات الحديثة.

1 - موقف المفسرين المحدثين من التفسير المأثور:

ظهر من المفسرين المحدثين من تنكّر للتفسير المأثور، واعتبره مما يصد عن فهم كتاب الله تعالى، ولعل أبرز من أعلن ذلك واعتمده الأستاذ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا «فلم يكن الأستاذ يحفل بالناحية الأثرية، ولا يولي اهتماما للأخبار وطرق تخريجها، ولا يعتمد في تفسير الآيات على الأخبار المتصلة بها». وقد انعكست هذه النظرية العقلية على منهج السيد محمد رشيد رضا في التفسير.

كان ذلك الموقف من التفسير المأثور يواجهه في الواقع النزعة الخرافية الشائعة التي تسيطر على العقلية العامة في تلك الفترة، كما يواجه سيل الأساطير والإسرائيليات التي حشيت بها بعض كتب التفسير في الوقت الذي وصلت فيه الفتنة بالعلم الحديث إلى ذروتها. وفهم آيات القرآن في عصرنا يجب ألا يكون بمعزل عن فهم السلف لها، فالتفسير المأثور إذا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مقدم على كل شيء، بل حجة متبعة لا تسوغ مخالفتها لشيء آخر، ولا أظن أن المتحاملين على التفسير المأثور يقصدون هذا النوع أبدا، والتفسير المأثور عن الصحابة مقدم على غيره، فإنه إما أن يكون مسموعا عن النبي صلى الله عليه وسلم وإما أن يعبر فيه الصحابي عن مناسبة النزول، أو يبين معنى الآية، مما يلزم المفسر للقرآن الإفادة منه. وكذلك يمكن الاستفادة من تفاسير التابعين ومن بعدهم، خاصة التوضيحات اللغوية والاستنتاجات الفقهية، ولا تكاد تنطبق تلك الحملة على التفسير المأثور إلا في جانب واحد منه، وهو ما يعرف بالإسرائيليات.

2 - موقف المفسرين المحدثين من النظريات العلمية الحديثة:

افتتن بعض المفسرين بالنظريات العلمية الحديثة، وذلك حين نظر في ذلك الركود العلمي الذي كان يلف بلاد المسلمين، وتلك الحضارة الغربية المزدهرة بالصناعة والعلوم والفنون، واعتقد أن من وسائل النهوض بواقع المسلمين التأكيد على أن الإسلام يحث على طلب العلم، وأن في القرآن إشارات إلى العلوم والنظريات العلمية الحديثة، فحاول تفسير القرآن وشحنه بكل أنواع العلوم ومظاهر الحضارة الحديثة، وخير من يمثل هذا الموقف الشيخ طنطاوي جوهرى، رحمه الله، في تفسيره (الجواهر).

ومع إمكان تلمس العذر لأولئك المفسرين الذين سلكوا هذا المنهج فإن «الذين يفسرون القرآن الكريم بما يطابق مسائل العلم، ويحرصون على أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر في أفق الحياة، يسيئون إلى القرآن من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعا، لأن هذه المسائل التي تخضع إلى سنة التقدم تتبدل، وقد تتقوض من أساسها وتبطل، فإذا فسرنا القرآن بها تعرضنا في تفسيره للنقائص، كلما تبدلت القواعد العلمية، أو تتابعت الكشوف بجديد ينقض القديم، أو يقين يبطل التخمين .
اتجاهات جديدة في التفسير:

لا يمكن للدارس أن يضع حدا تتوقف عنده جهود العلماء في تفسير القرآن الكريم، وقد استمرت تلك الجهود في العقود الأخيرة من الحقبة التي نعيش فيها الآن، وظهرت بوادر اتجاهات جديدة في التفسير، ويمكن أن نصنف جهود العلماء في التفسير في السنين الأخيرة إلى ثلاثة أصناف. أ- الاستمرار في كتابة التفاسير الكبيرة، وذلك مثل:

- 1 - التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.
- 2 - أضواء البيان، للشيخ محمد أمين الشنقيطي.
- 3 - في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب.

كتابة التفاسير المختصرة

ازدحمت حياة الناس في عصرنا بمشاغل كثيرة، ولم تعد مراجعة التفاسير الكبيرة ممكنة إلا لأهل الاختصاص، ومن ثم فإن المعنيين بتفسير القرآن الكريم وجدوا أن كتابة تفاسير مختصرة قد تكون مفيدة لغير المتخصصين في تفسير القرآن أو علوم الشريعة، ومن ثم ظهر نوعان من تلك التفاسير: النوع الأول: اختصار تفاسير كبيرة قديمة وذلك مثل:

- 1 - مختصر تفسير الطبري.
- 2 - مختصر تفسير ابن كثير.
- 3 - زبدة التفسير في اختصار فتح القدير للشوكاني.

النوع الثاني: كتابة تفاسير مختصرة جديدة، مثل:

- 1 - التفسير الفريد، لمحمد فريد وجدي.
- 2 - المصحف الميسر، لعبد الجليل عيسى.
- 3 - صفوة البيان في تفسير القرآن، لمحمد حسنين مخلوف.

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه فقد تم لي جمع هذا الملخص في أصول التفسير الذي ركزت فيه على أبرز موضوعات علم أصول التفسير متحاشياً التطويل تاركاً للاختصار الزائد حتى يتسنى لطلابنا في الدراسات الإسلامية الاستفادة من التخليص الذي عملت على جمعه من بطون الكتب سائلاً الله التوفيق والسداد، كما أسأله أن ينفع به الجميع .

وصلني اللهم وسلم وبارك على عبدك ونبيك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم.

د. محمد أحمد محمد جاد الرب

محرم 1436 هـ نوفمبر 2014 م.